الحجاب

وأثرة فى الأسرة والشعب

من العبث أن يعمل الباحث فى موضوع اجتماعى خطير كموضوع الحجاب الى نصوص التنزيل وآراء رجال الدين يؤيد بها رأيه ، أو يستلهمها الهدى والسداد ، فقد انقضى عصر الجمود والوهم ، وأشرق علينا عصر جديد لايعرف لغير الفكر الحر سلطانا على الحياة الانسانية وقائدا لها .

لست أريد بما قدمت أن أتعرض لأحكام الدين بخير أو شر ، أنما أحب أن نخلص فى بحثنا هذا من خطة قديمة عوجاء طالما أفسدت علينا تفكيرنا ، وأبعدتنا عن عالم الحقائق ، هى الخلط بين الدين والدنيا ، والاحتكام الى الوحى فيما ينبغى أن نحتكم فيه الى العقل الحر المستنير . ولا أعرف كيف نأمن العثار اذا لجأنا فى شئون هذه الحياة الى نصوص مرنة تتسع للنقيضين . فكثيرا ماتصدت تلك النصوص لتكذيب كل جديد من الحقائق العلمية ، حتى اذا ما رسخت هذه الحقائق فى الأذهان ، وضعف الدين عن مقاومتها والقضاء عليها ، عاد يزعم أنها لاتنافيه بل تؤيده وتدعمه . وكلنا يذكر قيام رجال الدين فى وجه نظرية داروين ، وها نحن نرى الآن كيف يحاول بعضهم التوفيق بينها وبين آى الوحى . ولعمرى لو قام غدا من الحقائق العلمية ماينقضها ، لرأيتهم على ذلك الجديد ثائرين ، ثم له مؤيدين محبذين . فهم دائما أنصار كل قديم بال ولن ينصروا جديدا الا اذا عجزوا عن مقاومته ، وأعياهم القضاء عليه .

قد يكون الحجاب فرضا أوجبته الأديان ، وقد لا يكون سوى بدعة سيئة ابتدعتها أوهام رجالها ، فلا يعنينا من أمره غير ناحيته الاجتماعية الصرفة ، ولا مقياس لنا فى الحكم عليه الا ما يثبت له من ضرر بالغ وأثر سيء فى مجتمعاتنا وأخلاقنا .

ليس فى المرأة — فى رأى الحجابيين — غير صفتين بارزتين تتضاءل بجانبهما كل

صفة أخرى: أولاهما فتنة تفتن عقول الرجال وتدفع بهم الى مزالق الشهوات وتصرف قلوبهم عن كل رشد وصلاح

ولو انها عرضت لأشمط راهب
عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها
ولخاله رشدا وان لم يرشد

وثانيتهما ضعف عظيم عن مقاومة اغراء الرجل ومغالبة نزوات الشهوة . ففي حجب هذا المخلوق حماية للرجل من فتنتها ، وحماية لها من اغرائه ومن نزعات نفسها الأمارة بالسوء .

فالعفة وشرف النفس فى زعمهم أمران يساق اليهما المرء كرها ، والنفس الانسانية نسيج من الخبث والفساد لاتطرق للخير سبيلا الاوهى مجبرة .

وهذه نظرية فاسدة قوامها الجهل الفاضح بحقيقة النفس الانسانية وما يستطيع التهذيب والصقل أن يجعل منها ، وسوء الظن الشائن بناحية الخير فيها .

وقد كانت نتيجه ذلك أن الشاب لا يرى فى الفتاة غير أداة للشهوة والاستمتاع ، ولا تثير رؤيتها فى نفسه غير أحط العواطف والميول .

وهذه بعينها عقيدة المرأة فى الرجل ونظرتها اليه ، ومن هنا كانت غاية الزواج عندنا الاستمتاع الشهوانى دون سواه من الأغراض السامية التى يقوم عليها بناء الأسرة الأوروبية .

وان فتاة هذا مبلغ فهمها للرجل والحياة الزوجية لتصرف كل همها حين تصبح زوجة ثم أما ، الى ارضاء ناحية الشهوة من الرجل دون غيرها ، وتعجز عجزا تاما عن انشاء أولادها نشأة صالحة وبث الفضائل والعواطف السامية فى نفوسهم ، لأنها لم تعرف من الفضيلة طول حياتها الا انها رذيلة تقوم دونها الموانع والحجب .

وهى بما وقر فى نفسها من الاعتقاد بضعفها أمام اغراء الرجل وجموح النفس، تفقد كل مناعة نفسية ويصبح شرفها فى خطر دائم ، فاذا أعانتها الظروف على الاحتفاظ به ، لم يكن لها فى ذلك من فضل غير فضل السجين فى الامتناع عن الاجرام.

وان شبابا ينشأ فى هذا الجو الفاسد المسموم ليفقد كل شعور بالجمال المعنوى ، ولا يدرى من معانى الحسن غير مايقع تحت حواسه الخمس ، وليس أدل على ذلك من صورة المراة فى الأدب العربى ، وصورتها فى أدب الغرب .

فان الشاعر العربى على اكثاره من الغزل والتشبيب بالمرأة لم يمتد بصره الى أبعد من محاسنها الجسمية ، ولم يفتنه غير خدها الأثيل ، ونهدها البارز وردفها الثقيل ، الى غير ذلك مما تفيض به كتب الأدب عندنا .

أما أكثر مايعنى به الشاعر الغربى فهو أن يصل مابين جمال من يصف وبين السماء ، فليس يرى فيها حسنا غير مستمد من جمال روحها ، ولا معنى غير فائض من معين نفسها ، ففى العينين زرقة السماء وصفاؤها ، وفى الوجه طهر الطفولة ونقاؤها ، وهى فى مجموعها زهرة ناضرة فى حدائق الحياة تملأ العين بهجة ، والنفس سموا ، وتهيب بالخامل المستكين الى تسنم ذروة المجد والعظمة .

وأين خيال شعرائنا المصفد بأغلال الشهوة والحيوانية من خيال شعرائهم الذى يحلق طليقا فى سماء الجمال النفسى . أين هند التى لاتغريك محاسنها بغير لذة تصيبها ، من بياتريس معبودة دانتى شاعر الطليان التى يقول فيها ان مرآها يمحو من نفس الناظر اليها كل خاطر أثيم ، وان نظراتها تبعث فى النفس كل نبل وطهر ، وانها المرآة الصادقة للجمال الالهى ؟ !

فهل رأيت ماجنى علينا الحجاب ؟ لقد محا كل ثقة بناحية الخير من النفس الانسانية ، وجردنا من المناعة الشخصية أمام عوامل الفساد والاغراء ، وجعل من حياتنا مزدحما للغايات الشائنة والشهوات ، وأقام بناء الأسرة عندنا على أساس فاسد لايصلح لتكوين شعب يفهم حقيقة الحياة . فان المرأة الأوروبية قوام أسرتها ، فهى الظل الوارف الذى يفىء اليه الرجل اذا اضناه الكفاح ، فلا يلبث أن يعود الى معترك الحياة وقد استمد من عينيها الصافيتين الحافلتين بأسمى المعانى قوة لاتقف فى سبيلها عقبة حتى يدرك الفوز والنجاح .

وهى المعلم الأول لأولادها ، يرون فيها قدوة صالحة ومرشدا أمينا ، فيشبون رجالا جرت الفضيلة والاقدام من نفوسهم مجرى الدم من شرايينهم . وهاهو الغرب

بفضل نسائه قد أصبح منبت العظمة ومهبط النبوغ والعبقرية .

أما نحن فلا نرى فى بيوتنا غير آلات صماء لسد مطالب النفس الحيوانية . ونحن لذلك أضعف الناس فى معركة الحياة ، وما كان الفوز لنا قط فى ميدان نتازل فيه غريبا .

وكل هذه النتائج السيئة الخطيرة نعانيها فى عصر الحرية والعلم لأن السادة الحجابيين يصرون على حجب المرأة لأنها شر وفتنة !

وعجيب أن نرضخ لتحكم فئة جاهلة يسيطر على أعمالها سلطان الوهم ، وعجيب أن لاثور على نظمهم الفاسدة فننقذ بذلك مستقبلنا من ظلمة خيمت على ماضينا وتخيم على حاضرنا .

خليق بالشبان أن يضربوا عن الزواج حتى تحطم المرأة قيودها وأغلالها وتسمو الى المستوى اللائق بها كما أهاب بهم أحد كبار مفكرينا منذ سنين .

وخليق بالمرأة أن تثور على هذه القيود التى ترمز الى سوء الظن بها . وتجرح كرامتها جرحا داميا .

بهذا وحده يصلح نظام الأسرة وهى أساس الجماعة ، وبهذا وحده ترقى أخلاقنا وتسمو نفوسنا ، والا ظلت نهضتنا هراء لاطائل تحته ، وهذيانا لا معنى له ؟ كامل داود

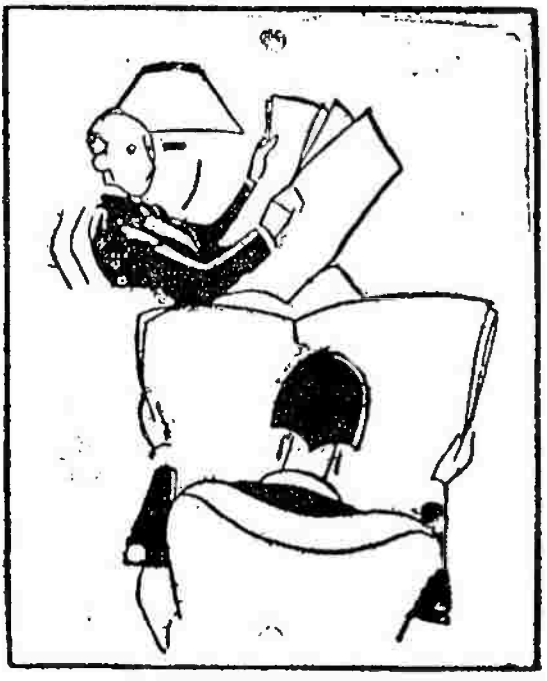

ـ تعرفش لغة الاسبرانتو ايه هى فى الحقيقة ؟

ـ هى اللغة العالمية ؟

ـ وفين يتكلموا بها ؟

ـ ولا فى مطرح ! ! !